

المقدمة

ظلت الموسيقى ومنذ بدء الخليقة تمثل جانباً رئيساً يسير جنباً إلى جنب مع الحضارة الإنسانية ، ووفقاً لنظرية أفلاطون (إن الموسيقى قد خدمت البشرية في تحقيق التوحيد بين أحاسيس البشر ومختلف عناصر الحياة في المجتمع الواحد ، وبين المجتمعات المختلفة ، وتمكنت من التعبير عن الفرد وعن الجماعة في تنسيق ووحدة) . إذ لعبت الموسيقى دوراً رئيسياً في العبادة والتعليم ونشر الفضيلة بين البشر ، كما يظهر ذلك في كتاب أفلاطون (الجمهورية) ، هذا فضلاً عن إستخدامها في الحروب كوسيلة توحد المشاعر وتشحن الأحاسيس ودفع للحركة البشرية وتنظيم لها ، كما ورد في المخطوطة القديمة (الشجرة ذات الأكمام) إنه ومنذ قديم الزمان لا ترى طائفة من المقاتلين إلا ولها عند حروبها شيء من آلات الأنغام وآلات النقر يجرونها مجرى السلاح في حروبهم ، مثل الطبول والأبواق¹ .

ونجد ذلك واضحاً في الحضارة السودانية منذ أمد بعيد كيفية إستخدام آلات النقر الإيقاعية والأبواق "القرون أو أومبايه" كوسيلة تواصل بين المجتمعات ، وذلك في نقل الأخبار والتحذير من العدو والاستعداد لقتاله ، وكيف أن النحاس يحث الفرسان علي القتال ويدفعهم إلي المعركة ، ونجد ذلك في أشعار العبادي :

يتلقت الدهر وقتين تدقو نحاسه

الأفلاك تغيب بي سعدها وأنحاسها

وورد في القرآن الكريم ذكر الجنود ، والحرب والقتال والغلبة والسلام والسلم ، أيضاً قال الله تعالى في سورة الأنفال الآية (59) : (وأمددوا لهم ما أستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء فهو سبيل الله يوفيه إليكم وأنتم لا تظلمون) ، إذ يوضح هذا أن القوة العسكرية هي واحدة من أهم المرتكزات التي تعتمد عليها الدولة في تثبيت دعائمها والدفاع عنها توسعاً أو انكماشاً لنشر رسالة أو تمدداً استعماريًا . ولما كانت الجيوش تحتاج بعد القوى البشرية إلي عتاد ومؤن ، فإن البشرية عرفت بتجربتها وبوسائل متعددة الكيفية التي تدفع بها الجيوش إلي الحرب ، متمثلة في الطقوس والغناء والخطب والاحتفالات بوداع الجيوش المتجهة إلي ميدان المعركة

¹ غطاس عبد الملك خشبه ، أيزيس عبد الملك ، الشجرة ذات الأكمام ، مجهول المؤلف ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ص . 27 .

، وقد انتهت كل الحضارات الإنسانية إلى أهمية الموسيقى في تحريك الجنود واستقبالهم ووداعهم ورفع الروح المعنوية لديهم .

يؤكد هذا أن الموسيقى العسكرية كانت تؤدي دائماً بغرض التنظيم والهيب الحماس لدى الجنود أكثر من كونها وسيلة لإصدار الأوامر والتعليمات ، وتجدر الإشارة إلى أن الإنسان عرف استخدام الآلة الموسيقية في الجانب العسكري بأشكال مختلفة ، حيث أثبتت الكشوفات الجغرافية والحفرية إن في حضارة نبتة (كوش) وجدت آلة الترومبيطة مصنعة من الحديد . أيضاً في حضارة الإغريق والرومان من بعدهم وجد ما يسمى بالنداءات العسكرية (البروجي) (Military Calls) وكانوا يستخدمون آلة الترومبيطة والبوق في تشجيع الجنود ودفعم للقتال بروح عالية .

وبعد أن اكتشف نظام التدوين الموسيقي في القرن العاشر الميلادي وجد أول بروجي مكتوب في إنجلترا عام 1588م بعنوان (مارش إلى المعركة)¹ .

بدخول الإستعمار التركي ، والاستعمار الإنجليزي المصري السودان قامت في وسط السودان الموسيقى العسكرية علي أساس (الأورط) في 1898م ، وعمت بعد ذلك كل مديريات السودان ، فتعرف الناس علي نمط جديد من الموسيقى العسكرية استخدمت فيها الآلات الغربية ، مثل آلات النفخ الخشبية والنحاسية والتي قدمت للجمهور متعة ذهنية ووجدانية من خلال العروض التي كانت تقدمها في الأندية والساحات العامة ، فلعبت بذلك الموسيقى العسكرية دوراً هاماً في الارتقاء بالثقافة الموسيقية الغنائية في السودان ، منذ الربع الأول من القرن العشرين ، فأصبحت بذلك الجهة الرائدة في ظهور الآلات النحاسية والخشبية في الثقافة الموسيقية الغنائية في السودان ، ومثلت رافداً مهماً في مسيرة التعليم والوعي الموسيقي والارتقاء به ، إذ أسهم رواد الموسيقى العسكرية بقدر كبير في الارتقاء بالثقافة الغنائية الموسيقية بالسودان ونشر الوعي الموسيقي مما حدا بالدارس أن يتناول الموسيقى العسكرية وإسهاماتها في الارتقاء بالموسيقى والغناء في السودان مع التعريف بتاريخها والرواد الذين أسهموا في مجال الموسيقى العسكرية ، والذين تعدى دورهم إلي الثقافة الموسيقية الغنائية السودانية .

¹ Edited by, Eric Blom, Groves Dictionary music and musician p. 1.

مشكلة البحث :

لاحظ الباحث أن كل الدراسات التي أجريت في مجال الموسيقى العسكرية كانت تشير إلى أن الموسيقى العسكرية لها دور فاعل في تطوير فن الغناء بالسودان ، فوجد الباحث أن كل ما كتب لم يتعدى مجرد آراء لم تختبر علمياً لإثبات صحتها .
أيضاً لاحظ الباحث من خلال عمله ووجوده في سلاح الموسيقى ، أن هناك خصائص تميز الموسيقى العسكرية عن غيرها من حيث البناء اللحني وطرق العزف والأداء .
علاقة الباحث الوثيقة بالموسيقى العسكرية والموسيقيين العسكريين على مدى سنوات طويلة أتاحت له فرصة جيدة لمحاورتهم ، فساهم ذلك الحوار في بلورة آرائه تجاه مشكلة البحث وكان دافعاً قوياً لمعرفة خبايا وأسرار الموسيقى العسكرية .

أهداف البحث :

يهدف البحث إلي :

- 1) التعرف علي تاريخ ونشأة الموسيقى العسكرية في السودان .
- 2) التعرف علي رواد الموسيقى العسكرية الذين أسهموا في مجال الموسيقى المدنية .
- 3) التعرف علي التطورات التي أحدثتها في الفرق الموسيقية في البلاد .
- 4) التعرف علي الأثر الذي تركته في التفكير الموسيقي في الغناء والموسيقى السودانية .
- 5) تبيان الجذور التراثية التي جاء منها المارش ، وما هي العلاقة بين المارش والجلالة .

أهمية البحث :

- 1) إثراء المكتبة السودانية عامة ومكتبة كلية الموسيقى والدراما بصورة خاصة .
- 2) يساهم البحث في التعرف على الموسيقى العسكرية من ناحية تاريخية والدور الذي لعبته في دفع الثقافة الموسيقية الغنائية من حيث تطور مستوى العزف والأداء وتنظيم شكل الفرق الموسيقية ودخول التدوين الموسيقي وكيفية تعلم قراءة النوتة الموسيقية عبر أسس علمية .
- 3) كشف النقاب عن أهم الشخصيات التي كان لها السبق في إرساء دراسة الموسيقى وإدخال آلات النفخ الخشبية والنحاسية إلى الثقافة الغنائية الموسيقية في السودان .

أسئلة البحث :

- 1) متى أنشأت فرق الموسيقى العسكرية في السودان ؟
- 2) من هم الرواد الذين أسهموا في تطوير الموسيقى المدنية ؟
- 3) ما الدور الذي لعبته في الارتقاء بفن الغناء والموسيقى بشكل عام ؟
- 4) ما أثر دخول آلات النفخ الخشبية والنحاسية على الموسيقى والغناء السوداني ؟

حدود البحث :

يقتصر البحث علي العاصمة القومية كموقع جغرافي ظهرت فيه الموسيقى العسكرية.

الحد الزمني :

منذ دخول الموسيقى العسكرية للسودان في عام 1928م وحتى إجراء هذا البحث 2006م .

الحد الموضوعي :

دراسة الموسيقى العسكرية وما أحدثته من تطور في الموسيقى والغناء السوداني .

أدوات البحث :

جهاز تسجيل ، مدونات موسيقية ، تسجيلات سمعية وبصرية ، مقابلات .

إجراءات البحث :

يحتوي هذا الجزء على الإجراءات التي اتبعتها الدارس في الإطار العملي من حيث المنهج، مجتمع البحث، عينة البحث، وأسس اختيارها، ثم تحليل عينة النموذج.

منهج البحث:

اتبع الدارس المنهج التاريخي وكذلك المنهج الوصفي التحليلي في عرض ودراسة نماذج البحث. وذلك لما لهذا المنهج من صلة بموضوع البحث.

مجتمع الدراسة:

المجتمع المقصود هنا هو الموسيقى العسكرية بما تحويه من مارشات وجلالات ونوبات والمؤلفين العسكريين الذين أسهموا بالتأليف في مجال الموسيقى العسكرية والموسيقى المدنية والموسيقين من الوسط الفني الذين تلقوا دراسة علي أيدي العسكريين وقاموا بتنفيذ أعمالهم .

عينة البحث :

تتكون عينة البحث من عينة مقصودة

وقد تم اختيارها على أساس خصائص مجتمع البحث، حيث أن بعض الأعمال تم اختيارها عشوائياً، وتم اختيار البعض الآخر بطريقة مقصودة وذلك لأسباب تتعلق بسميزات كثيرة في تلك الأعمال جعلت الدارس يقصد اختيارها . كذلك تم اختيار نماذج من أعمال المطربين السودانيين على نحو مقصود ، وذلك وفق ما حتمته ضرورة تناول بعض الأعمال التي يظهر فيها أثر الموسيقى العسكرية.

تمثلت عينة البحث في عدد (80) نموذجاً تم جمعها واختيارها من مجتمع البحث بغرض دراستها لتحديد خصائص ألحان النماذج المعنية وبعد التصنيف وقع الاختيار على خمسة عشر نموذجاً للتليل .

كيفية اختيار النموذج:

قام الدارس باختيار النماذج على الأسس التالية:

- 1- تنوع أفكار النماذج وتباينها مناطقها وتاريخ إنتاجها .
- 2- أن يمثل النموذج أحد هذه الأنماط لدى المجموعة (مارش ، جلاله، أغنية للوطن، أغنية عاطفية) .

تحليل النموذج :

اتبع الدارس هذه الخطوات في تحليل النماذج:

- تحديد اسم النموذج
- الشاعر إن وجد
- الملحن
- المدون

- تحديد الميزان والسرعة التي يؤدي عليها النموذج
- تحديد الصيغة اللحنية
- تحديد الصيغة الإيقاعية
- تحديد الضرب الإيقاعي
- تحديد الصوت المستقر والصوت المسيطر
- تحديد الوحدة القياسية المسيطرة بالنموذج

مصطلحات البحث :

1- باشبزيك :

جنود غير نظاميين (أصل الكلمة تركية) .

2- أورطه أو أورتا :

كلمة تركية تعني فرقة عسكرية قوامها 1000 جندي ويقابلها في التنظيم الحالي (لواء) .

3- أمباشي :

رتبة عسكرية لأدنى درجة من ضباط المشاة في الجيش التركي وتقابل الآن رتبة العريف .

4- أم بايه :

آلة موسيقية من سن الفيل أو قرن الوعل بها ثقب ينفخ عليه .

5- بروجي أو بوق :

آلة موسيقية تصنع من النحاس خالية من الغمازات ويقال نفخ في البوق بمعنى - أعلى رؤوس الأشهاد .

6- القومندان :

هي رتبة عسكرية وتقابلها اليوم رتبة العقيد .

7- النصف تعيين (Boys) :

وهو الجندي الذي لم يصل سن البلوغ أو الرشد أو سن التعيين كجندي (18 عام).

8- الرديف :

وتعني معاشيي قوة دفاع السودان الذين تم توزيعهم على مدن السودان المختلفة كاحتياطي عند الحاجة ، حيث كان يطلق عليهم Reducation Defence Force واختصرت الكلمة بأخذ حرف من كل كلمة فأصبحت R. D. F .

9- الكجايا :

نوع من الخمور البلدية (المريسة) .

10- الدوانا :

الزير الكبير الحجم .

11- الموسيقى الملكية أو المدنية :

هي الموسيقى التي تعزف وتؤلف من قبل أشخاص غير عسكريين ، أي من الوسط الفني للمجتمع "وهذه الكلمة شائعة في مجتمع العسكرية تطلق على أي فعل يقوم به شخص لا ينتمي إلى سلك الخدمة العسكرية .

12- عصا الموسيقى (الدبوس) :

هي تقليد حربي متبع في أغلب الجيوش ، حيث تتقدم الفرقة الموسيقية حاملة العصا ، وهي حركات منتظمة لضبط إيقاع الموسيقى أثناء السير ، ويعتبر حامل العصا قائداً للفرقة بتحديد نوع المارش الذي تعزفه الفرقة وتحديد نهايته لبدء مارش جديد وتنظيم خطوات سير الفرقة .

13- مارش THE MARCH:

هو لفظ أوربي الأصل ويقابله باللغة العربية لحن السير .